المحاضرة الأولى: أبنية المصادر

محاور المحاضرة:

1/ أولا: تعريف بالمصدر وأقسامه

2/ ثانيا: كلام في أحقية المصدر بين الاسم والفعل

3/ ثالثا: أبنية مصادر 1 (الفعل الثلاثي)

تقديم المحاضرة

تمهيد: إنّ الحديث في علم الصرف يأتي مُنما بقضايا جوهرية لحقت الكملة العربية في حالاتها المختلفة، وهي سمة مكنته من الاسهام في إنماء اللغة العربية وإثرائها، وذلك بعد أن يقف على مختلف التغيرات التي لحقت المفردة العربية، والصرف في أصله هو تحويل وتغيير، وتقليب كما نصت على ذلك المعاجم العربية في مادة (ص ر ف)، حيث جاء في اللّسان « الصرّفُ رد الشيء عن وجهه، صرفه يصرفُه صرفا فانصرف، وصارف نفسه عن الشيء، صرفها عنه »[1] وهو التقليب أيضا كما جاء على لسان يونس، فقولك صرفتُ الصّبيان بمعنى قلبتهم[2].

أما في الجانب الاصطلاحي فإنّ الصرف مرده إلى « تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة، لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلاّ بها، ك: اسمي الفاعل والمفعول، واسم التفضيل، والتثنية، والجمع إلى غير ذلك»[3]. فهو علم « بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة، التي ليست بإعراب ولا بناء»، ومن ثمة يتبين أنّ موضوع علم الصرف هي الألفاظ العربية، من حيث (الصحة والاعلال، والأصل والزيادة، وغيرها من الظواهر الصرفية العربية.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص: 2434.

[2] المصدر نفسه، ص: 2434.

[3] أحمد حملاوي، شذا العرف في فنّ الصرف، دار الاتباع، القاهرة، ط1، 2017، ص: 16.

أولا: تعريف بالمصدر وأقسامه:

أولا: المصدر وأنواعه:

1/ مفهوم المصدر: يعرف المصدر على أنّه أصل المشتقات، فهو « اسم يدل على حالة أو حدث غير مقيد بزمان، وتضمن أحرفه لفظا أو تقديرا، وهو إما صريح أو مؤول [4]»، وهو كان سيبويه (ت180هـ) قد خصّه بمصطلح الأحداث ومثّل عنها بقوله: أما الأحداث فهي مثل الضرب والحمد والقتل[5]. فهي ألفاظ دالة على معنى غير محصل بزمن. في مقابل ذلك يرى أنّ الفعل ضرب من الأمثلة عن أحداث أسماء، وهي الأمثلة محصلة بزمن، فقد تكون مبنية لما مضى نحو: رسمَ، ذهبَ، ولما يكون ولم ينقطع نحو: اذهبْ، وأخرجْ ان أمرتَ، أو يلعبُ، يقرأُ جئت مخبرا، وهو كذلك لما هو كائن لم ينقطع. وابن مالك في نظمه يقول:

المصدرُ اسم ما سوى الزّمانِ من .... مَدْلولي الفعلِ كأَمْنٍ من أَمِنَ

حيث يؤكد ابن مالك ما ذهب إليه السابقون من أنّ المصدر اسم يدل على حدث غير مقترن بزمان، وإنّك لتجد المعنى ذاته مبثوثا في مؤلفات علماء العربية، ممن أخذو بتلابيب هذا العلم، وخصوه بعناية كبيرة جمعت بين عقل تنقيبي نبيه، وعلم لّغوي حصيف.

ويشترط في المصدر الذي يعد على أنه أصلا عن فرع، أو كما قيل لفظ دال على حدث غير مقترن بزمن، أن يشتمل على أحرف فعله في الماضي، الأصلية منها والزائدة، فقولك مثلا: استخبار، واستعلام، واحرنجام، وشربْ، هي مصادر متضمنة لحروف أفعالها الأصول والزوائد (استخبرَ، استعلمَ، احرنجم، شربَ،) وكما أنّ هذا الاشتمال – كما مثلنا عليه– هو كذلك تقدير غير ظاهر، ولنا في الحالات التالية ضرب من هذا القسم التقديري [6].

---

[4] ينظر: محمد الحسن بن دريد أبو بكر، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ج2، 1987، ص:135.

[5] ينظر: أبو بشر عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، ص: 12.

[6] ينظر: فخر الدين قباوة، تصريف الأسماء والأفعال، مكتبة المعارف، بيروت، ط2، 1988، ص: 130، 131، 132.

حالات الواو المنقلبة عن ياء: إنّ المصادر من باب (إيصال، استيطان، اخشيشان) في الأصل هي مشتملة على حروف أفعالها الأصلية والزائدة (أوصل، استوطن، اخشوشن،) فالظاهر أنّ الواو الواقعة في هذه الأفعال لا أثر لها في المصادر السابقة، وهذا القول صحيح إن حكمنا بما تلمحه العين المجردة، غير أننا لو عدنا إلى مكاشفة هذا التغير لوجدنا أنّ الواو حاضر لكن بصورة تقديرية، والسبب وراء قلبها ياء هو أنّها قد أعلت، ولما كان الحال ذلك قلبت ياء في استيطان، وإيصال، واخشيشان) لأنّ الأصل هو أن تأتي على هيئة: استوطان، وإوصال، واخشوشان، غيّر أنّ السبب السالف ذلك حال دون حضور الحرف الأصل.

حالات الياء المنقلبة عن ألف: إنّ الأفعال من باب (أهدى، ارتقى، استلقى، انطوى) تكون الياء التي هي حرف أصلي فيها مقدرة، ومنقلبة إلى همزة، حيث إنّ مصادرها تكون على الشكل الآتي: (إهداء، وارتقاء، استلقاء، انطواء) والسبب في ذلك أنها جاءت متطرفة وقبلها ألف زائدة، فالأصل أن نقول: اهداي، استلقاي، وانطواي، ارتقاي. غير أنّ الياء هنا قلبت همزة لأنها جاءت متطرفة بعد مد زائد، اذن المصادر السالفة الذكر اشتملت على الحروف الأصلية لأفعالها غير أنّ هذا الاشتمال كان مقدرا غير ظاهر.

اشتمال مبني على الحذف والتعويض: ويظهر هذا النوع في المصادر من باب(تجربة، وتحلّة، وتوصية، وتعبئة) التي هي مصادر للأفعال (جرّب، حلَّل، وصّى، عبّأ)، فالأصل كان أن تأتي مصادرها على النحو التالي: تجريب، وتحليل، وتوصيي، تعبيئ) غير أنه حدث تغيير فيها، وهذا بأن حذفت منها الياء، وعوضت بتاء في آخرة الكلمة فكانت النتيجة بحصول المصادر السالفة الذكر: تجربة، وتحلّة، وتوصية، وتعبئة). فالاشتمال هنا كان تقديريا وليس ظاهرا لأصول أفعال المصادر التي حدث فيه حذف ثم تعويض.

أسماء المصادر: توجد أسماء من نحو عطاء، وكلام، عون، سلام، وضوء، تُقى والتي هي متعلقة بالأفعال من قبل تكلّم، وأعطى، أعان، سلّم، توضأ، اتقى. يعده أهل اللغة أسماء مصادر وليست مصادر، ومرد ذلك إلى أنها لم تشتمل على حروف أفعالها لا ظاهرا ولا تقديرا.

أسماء الذوات: يوجد نوع آخر من الأسماء لا هو مصدر ولا اسم مصدر نحو: جُرح، أنف، وجه، نهر، وغيرها من المسميات التي يقول عنها أهل اللغة إنّها أسماء ذوات ولا تدخل لا في حيز المصادر ولا اسم المصادر، والسبب أنها لما خرجت عن مدلول المصدر الذي هو يدل على حالة أو حدث كما تقدم ذكره، كانت بعدها أسماء ذوات.

وإنّ المصادر على أنواع، منها ما هو صريح ويصطلح عليه أيضا بالأصلي كما في قوله تعالى ﴿**ويَسألونكَ ماذَا يُنْفِقُونَ قل العفو**﴾ **[البقرة: 219]** وما هو مؤول كقوله تعالى: ﴿**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُم**﴾ **[البقرة: 184]** ، وما هو ميمي كما في قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ **[البقرة: 219]**، وما هو صناعي، مثل: إنسانية، أسبقية وغيرها، فيدخل في حيز ذلك كل اسم مشتق أو جامد تضاف إليه ياء مشددة وتاء التأنيث المربوطة للدلالة على الصفة التي فيه. وما هو على هيئة كقولك: جلستُ جِلسة العلماء، أو كقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ...**﴾ **[الفرقان: 62]** وما هو على مرة كقوله تعالى: ﴿ **إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ** ﴾ **[يس: 29]** . وكل قسم سيأتي باب الحديث فيه، والتفصيل في أبنيته في قادم المساحات من هذا العمل البيداغوجي.

ثانيا: كلام في أصل الاشتقاق: إنّ القول في أصل الاشتقاق إن كان مرده إلى المصدر أو الفعل قول احتكمت مكاشفته إلى النظر في توجهات التي تباناها علماء العربية، حيث انتصر كل فريق لرأي هو عنده عين الصواب، فعلماء البصرة انتصروا للمصدر ورأوه أصل الفعل، وحججهم في ذلك كثيرة ومنطقية، أما علماء الكوفة فانتصروا للفعل وقالوا بأحقية في أن يكون أصل الاشتقاق، وكما كان لعلماء حجة في مذهبهم كان حال كذلك عند علماء الكوفة، حيث قدموا حججا وبراهين على أحقية الفعل في أن يكون أصل الاشتقاق، ومن ثمة فإنّ هذه الحجج نراها تترى على النحو الآتي:

1/ مذهب البصريين واستدلالهم عليه: من حجج علماء البصرة واستدلالهم على أحقية المصدر في الاشتقاق ما يلي[7]:

- إنّ المصدر يدل على زمان مطلق، في الحين أنّ الفعل خصّ بأزمنة معينة، ولما كان المطلق أصل المقيد كان المصدر هنا أصل الفعل، حيث إنّ علماء البصرة انتصروا للمصدر لأنهم وجدوه يشترك في الأزمنة كلها وليس حكرا على زمن بعينه، وقتها اشتقوا له ثلاثة أزمنة من لفظه هي(الماضي، الحاضر، والمستقبل) على أن يختص كل فعل بزمن من تلك الأزمنة، لذا فإنّ المصدر أصل في الاشتقاق لا الفعل.
- إنّ المصدر اسم، والاسم قائم بنفسه، ومستغن عن الفعل، في حين أنّ الفعل مفتقر بنفسه إلى الاسم، لذا فإنّ المصدر أصل للفعل.
- إنّ الفعل يحمل بصيغته أمرين اثنين هما الحدث والزمن المحصَل، أما المصدر فيُحمَل على أمر واحد ألا وهو الحدث، وبما أنّ الواحد أصلُ الاثنين كذلك المصدر بدلالته أصل للفعل.
- إنّ المصدر له ضرب واحد نحو (الضرب، والعفو، النجاح) أما الفعل فله أمثلة عدة (نجح، ناجح، ينجح، تنجح، نجحوا ....الخ) حاله حال الذهب بنوع واحد وما هو كائن منه أنواع وصور مختلفة، لذا فإنّ المصدر أصل للفعل.

2/ مذهب الكوفيين واستدلالهم عليه: رأى الكوفيون أنّ الفعل أصل الاشتقاق لا المصدر، وقد استدلوا على قولهم بجملة من الآراء منها[8]:

- إنّ الفعل أصل للمصدر لأنّ هذا الأخير يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله. نحو قولك: قاوم مصدره قوام، غير أنك لو قلت: قام لكان المصدر قياما.

---

[7] ينظر: أبو البركات الأنباري، الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، مطبعة السعادة، القاهرة، ط4، ج1، 1961، ص: 237.

[8] ينظر: المرجع نفسه، ص: 236.

- إنّ الفعل يعمل في المصدر، حيث إنك تقول: (ضربتُ ضربا) فتنصبُ (ضربا) بـ (ضربتُ)، ولأنّ رتبة العامل قبل رتبة المعمول، فإنّ المصدر فرع للفعل، وإنّ الفعل أصل في الاشتقاق.
- إنّ المصدرَ يأتي تأكيدا للفعل: ولأنّ رتبة المؤَكَد قبل رتبة المؤكِّد كان الفعل أصل المصدر ومن ثمة أصل الاشتقاق، ونقف كذلك عند الأفعال التي لا مصادر لها نحو بئس، نعم، حبذّا، فلما تعذر إيجاد مصادر لها كان الفعل الأحق بأن يكون الأصل عوض المصدر، والمرد ذلك إلى استحالة وجود فرع من غير أصل، لهذا يكون الأصل هنا هو الفعل.
- إنّ المصدر لا يتصور معناه مالم يكن فعلَ فاعل، وإنّ الفاعلَ وُضع له فعلَ ويفعلُ، لذا وجب أن يكون الفعلُ الذي فتق معنى المصدر أصلا له.